

أنبياء إسرائيل
النبوة وصياغة المجتمع المعاصر

سفر عوبديا

الدكتور القس مكرم نجيب

عوبديا وظلم الإخوة

تشغل هذه النبوة المختصرة كما يسميها هاريسون Roland Kenneth Harrison^١ المكان الرابع بين الأنبياء الاثني عشر في النسخة العبرية من سفرى عاموس ويونان. وهو نفس الترتيب الذى جاء فى الترجمتين البسيطة Peshitta والفولجاتا وكل الكتب المقدسة العبرية الحديثة. لكن فى الترجمة السبعينية يأخذ هذا السفر المكان الخامس بعد يوثيل وقبل يونان.

وتعكس النبوة خلفية الكراهية التى كانت بين الشعب الإسرائيلى وشعب أدوم، هذه الكراهية التى نجد جذورها فى الاختلافات بين يعقوب (إسرائيل) وعيسو (أدوم)، كما جاءت فى سفر التكوين (تكوين ٢٥ : ٢٣ و٢٧ : ٣٩).

النبي

وضع اسم عوبديا النبي عنواناً للسفر. والاسم فى العبرية Obadyah وهو يعنى "عبد الرب". أما السبعينية فالاسم Obdios، وفى الفولجاتا بنفس الحروف مع اختلاف بسيط فيصبح Abdias. ولقد تنبأ النبي فى أقصر سفر فى العهد القديم عن دينونة الله لعنف أدوم وعدم أخوته، وأكد عدل صهيون فى يوم الرب، يوم القوة الأخيرة. ولم يعطنا العهد القديم معلومات مباشرة عن حياة عوبديا وظروفه.



^١R.K. Harrison. Introduction to the Old Testament. Pp.898-899.

التقسيم

١- تحذير وعقاب الأدوميين (١ - ١٤) :

(٤-١)

*انحدار أدوم

(٩ - ٥)

*كمال خراب أدوم

(١٤-١٠)

*عدم أخوة أدوم

: (٢١-١٥)

٢-يوم الرب

(١٦ و١٥)

● الدينونة العامة

(٢١-١٧)

● عودة إسرائيل

الكتابة والتاريخ

أما عن كتابة السفر، محتوياته وتاريخه، فنجد تعدداً واختلافاً في الآراء فمثلاً، نجد Thoburn^٢ يؤكد وحدة السفر الأدبية مستنداً على خلفيته التاريخية وتطابقه الفكري، ويظهر نبوة مبكرة عن أدوم في الآيات (١ - ٩) موازية لما جاء في (إرميا ٤٩ : ٧ - ٢٢)، ويبين المشكلة في العلاقة بين هذين النصين. إن استخدام إرميا لهذه النبوة كان قبل خراب أورشليم، أما عوبديا فبعد أن تم الخراب فعلاً (عوبديا ١١). ويكشف عن التشابه بين عوبديا ويوثيل رغم قدم عوبديا (عوبديا ١٧ ويوثيل ٢ : ٣٢). ثم يختتم رأيه بأن عام ٥٤٠ ق.م. قد يكون هو تاريخ عوبديا.

ويقول Otto Eissfeldt^٣ أن تعبير "هكذا قال السيد الرب" في (عوبديا ١) هو إضافة ثانوية وتعبير إيضاحي. ويضيف أن الآراء تنقسم إلى طرفي نقيضان. فيرى Robinson أن السفر أجزاء من الشعر من فترات متعددة ضد

² Thoburn. Old Testament Introduction. PP. 272-274.

³ Otto Eissfeldt. The Old Testament An Introduction. PP. 402-403.

أدوم جمعت معاً والأجزاء هي (١-٦ و٧-٨ و١١-١٢ و١٤-١٥ و١٦ ، ١٧-١٨ ، ١٩-٢١). ويقسم Weiser^٤ الآيات من ١-١٨ إلى نبوتين لعوبديا : الأولى من ١-١٤ ، ١٥ اب والثانية ١٥ أو ١٦-١٨ ثم يضع الخاتمة ١٩-٢١ التي أضيفت أخيراً وهي قد ترجع في الأصل أيضاً إلى عوبديا.

أما Theis فيرجع كل السفر إلى عوبديا في منتصف القرن التاسع ق.م. ويقول Edelkoot أن السفر كُتب في منتصف القرن السادس ق.م. ثم انقسمت الآراء بعد ذلك من بداءة القرن التاسع حتى الخامس قبل الميلاد. ومن أنصار القرن التاسع ، Von Orpelli, Keil, Delitzsch, Ewld, Sellin , Kirkpatrick ومن أنصار القرن الخامس ، Sayce, Cheyne, Kornill, Kuenen ثم أخيراً Wellhausin.

وبنفس الاختلاف حول المحتويات والتاريخ، كان التردد حول شخص عوبديا. فرأى بعضهم كما جاء في التلمود البابلي أنه هو الرجل الفاضل الذي كان وكياً على بيت الملك أخاب الذي أنقذ ١٠٠ نبي عندما أهلكت ايزابل أنبياء الرب، وعالهم بالطعام (١ ملوك ١٨ : ٣-١٠). وقال آخرون أنه رجل آخر قام في أيام يربعام الثاني وذلك من اتفاق (عوبديا ١٧ وارميا ٤٩ : ٧). ثم ذهب غيرهم إلى أنه قام بعد خراب أورشليم بيد نبوخذ نصر، وكان معاصراً لإرميا وحزقيال. ولا يوجد ترجيح وأسانيد قوية لرأى على الآخر.

الأدوميون

سكن الأدوميون منطقة جبلية تُسمى أحياناً "جبل سعير" جنوب البحر الميت كما هو واضح من سفرى العدد ويشوع (عدد ٣٢ : ٣، يشوع ١٥ : ١١).

⁴Driver. An Introduction to The Literatre f the Old Testament. PP. 318-321.

ويقول الدارسون للعهد القديم أنهم أقاموا فى هذه المنطقة إقامة دائمة اعتباراً من عام ١٣٠٠ ق.م.

فى البداية كان الإسرائيليون يعتبرونهم أبناء عيسو أذى يعقوب (تكوين ٢٥ : ٣٠ ، ٣٦ : ١). ويذكر العهد القديم القرابة التى تربط بنى إسرائيل فى الجنوب ببنى قناز إحدى قبائل عيسو (تكوين ٣٦ : ١١ ، ١٥ : ٤٢ ، يشوع ١٤ : ١٤ و ١٦). ومن هنا جاءت العبارة "لا تكره الأدمى لأنه أخوك" (تثنية ٢٣ : ٨).



انتظم الأدميون فى وحدة سياسية يرأسها ملك مبكراً عن بنى إسرائيل (تكوين ٣٦ : ٣١)، واستمروا كذلك حتى أيام داود الملك الذى اخضع أدوم لمملكته، حتى يجد طريقاً ومعبراً آمناً إلى خليج العقبة المشهور بثروته المعدنية. لكن الأدميين حصلوا على استقلالهم من خلال معارك طويلة (١ ملوك ١١ : ١٤)، (٢ ملوك ٣ : ٩ و ٨ : ٢٠ ، ١٦ : ٦).

تمتع الأدميون بهذا الاستقلال حتى وقعوا بين يدي آشور. وفى أيام نبوخذ نصر عندما سقطت أورشليم عام ٥٨٧ ق.م ، اشتركوا فى تعبير ونهب أورشليم، وشمتموا فى خرابها (حزقيال ٢٥ : ١٢ - ١٤) "هكذا قال السيد الرب من أجل أن أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء إساءة وانتقم منه لذلك هكذا قال السيد الرب وأمد يدي على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيرها خراباً من التيمن وإلى ددان يسقطون بالسيف. وأجعل نقمتي فى أدوم بيد شعبي إسرائيل فيفعلون بأدوم كغضبي وكسخطي فيعرفون نقمتي يقول السيد الرب" وفى (مزمور ١٣٧ : ٧) "أذكر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم القائلين هدوا هدوا حتى إلى أساسها" وفرحوا بسقوطها (مرقس ٤ : ٢١).

ثم استولوا على أراض كان أبناء مملكة يهوذا يقيمون بها (انظر حزقيال ٣٥). وهذه المواقف استدعت إلى الذاكرة الإسرائيلية كبرياء أدوم، وتصرفاتهم القاسية معهم خاصة في وقت الأزمات. فبعد الخروج مُنع الأدوميون من المرور في أراضيهم (عدد ٢٠ : ١٤ - ٢١). وعندما ضرب إسرائيل يهوذا ضربة عظيمة، تدخل أدوم وضربوا يهوذا وسبوا سبياً، للدرجة التي جعلت آحاز الملك يستعين بملوك آشور ليساعدوه (٢ أخبار ٢٨ : ١٦ و ١٧).

هذه المواقف العدائية ملأت قلوب الإسرائيليين بالسخط والمرارة والرغبة في الانتقام من الأدوميين. وخلال القرن السادس أو أوائل القرن الخامس قبل الميلاد تقريباً، قامت القبائل العربية المحيطة بأدوم وهم "الأنباط" وبالإنجليزية Nabataean، وأبعدوا أدوم عن أرضه إلى الشمال، بعد أن احتلوا مدينة "سلع" أي "بتراء" والتي هي حتى اليوم مدينة أثرية في الأردن. وقد عُرف ذلك من الحفريات المكتشفة في تل الخليفة وعصيون جابر كما يذكر Roland K. Harrison .

أما ألبرايت W.F. Albright فيقول أنه بالرغم أن الحاكم كان أدومياً والأسماء أدومية إلى عام ٦٠٠ ق.م، إلا أنها أصبحت عربية بعد قرن من الزمان. بعد ذلك طردهم يهوذا المكابي أيام المكابيين من جنوب يهوذا عام ١٦٤ ق.م. وفي عام ١٠٩ ق.م. هزمهم جون هركانس وأجبرهم على التهود.

الرسالة والتعاليم المستفادة



قد نتساءل مع كثيرين هل هناك رسالة لسفر عوبديا؟، وهل هناك ضرورة لوجوده بين أسفار الأنبياء في العهد القديم؟، وما الذي نتعلمه من سفر عبارة عن اثنين وعشرين آية تسيطر على معظمها الاتهامات والدينونة؟

وتخلو من كلمات عزيزة على قلوبنا مثل المحبة والنعمة؟! والإجابة .. نعم ..
فلهذا السفر أهميته ومكانته فى الكتاب المقدس، وككل كتابات الأنبياء يتحدث
إلينا من خلال السياق التاريخى عن حقائق هامة معاصرة فى حياتنا وعالمنا
اليوم.

إنه يتحدث عن الإحساس العميق بالألم لشعب الله، وهو يتعرض لمحنة قاسية
من المحن التى قاساها فى تاريخه الطويل على يد جيوش بابل، وفضاعة
القسوة والهوان والتشريد والتدمير والسبى، وفى نفس الوقت يتطلع إلى أدوم
الذى تمتد جذوره إلى أخيه فى الجسد، فلا يجد منه إلا العداوة والشماتة
والتنكر للإخوة والظلم. إنها رسالة فى غياب قيمة التضامن الأخوى والولاء
والوفاء، والاهتمام بالمصالح الخاصة الضيقة، وخطورة الصراعات
الدمرة بين الأشقاء والنهية المحتومة لها، سواء فى العلاقات الإنسانية بين
الأفراد أو فى العلاقات الإقليمية والدولية بين الشعوب.

ويصور المرئم هذا الإحساس العميق بالألم، ويحذر من هذه النهاية
المحتومة للصراعات، فيقول فى (مزمور ٥٥ : ١٢ - ١٥) "لأنه ليس عدو
يعيرني فاحتمل ليس مبعضي تعظم علي فأختبئ منه. بل أنت إنسان عدلي
ألفي وصديقي. الذي معه كانت تطلو لنا العشرة إلى بيت الله كنا نذهب فى
الجمهور. لىبعثهم الموت لينحدروا إلى الهاوية أحياء لأن فى مساكنهم فى
وسطهم شرورا".

ويسجل عوبديا النبى هذه الحقيقة فيقول فى (الأعداد ١٠-١٤) "من أجل
ظلمك لأخيك يعقوب يغشاك الخزي وتنقرض إلى الأبد. يوم وقفت مقابله
يوم سبت الأعاجم قدرته ودخلت الغرباء أبوابه وألقوا قرعة على أورشليم
كنت أنت أيضاً كواحد منهم. ويجب أن لا تنظر إلى يوم أخيك يوم مصيبته
ولا تشمت ببني يهوذا يوم هلاكهم ولا تفغر فمك يوم الضيق. ولا تدخل
باب شعبي يوم بليتهم ولا تنظر أنت أيضاً إلى مصيبته يوم بليته. ولا تمد
يداً إلى قدرته يوم بليته ولا تقف على المفرق لتقطع منفذيه ولا تسلم
بقاياها يوم الضيق".

كما يتحدث السفر عن السيادة الإلهية على الكون وعلى التاريخ الإنساني، وعن العدالة الإلهية وتدخل الله في أحداث الأفراد والشعوب، وعن دينونته لغطرسة القوة الخادعة وجنوح الكبرياء البغيضة. فلقد تحصن أدوم داخل المواقع الصخرية والمدن الجبلية، واشترك في عمليات الإجرام التي قامت بها بابل عند سقوط أورشليم بقلب بارد وعين شامته.

وهنا يعلن الله عن دينونته للعدالة للكبرياء الظالمة، سواء قديماً أيام النبي عوبديا، أو حديثاً ضد كل من يجسد هذا النموذج القبيح من نازية وعنصرية وأنظمة شمولية ديكتاتورية وعنف وقهر، كما يحدث الآن في أماكن كثيرة في العالم وبالأخص في منطقة الشرق الأوسط، وغرور القوة والجرائم الإنسانية التي تقوم بها آلة الحرب الإسرائيلية الجهنمية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، في وقفته الشجاعة لتحرير أرضه.

أمام هذه الكبرياء الخادعة يقول عوبديا في (الأعداد ٢-٤) "أني قد جعلتك صغيراً بين الأمم أنت محتقر جداً. تكبر قلبك قد خدعك أيها الساكن في محاجئ الصخر رفعة مقعده القائل في قلبه من يحدرني إلى الأرض. إن كنت ترتفع كالنسر وإن كان عشك موضوعاً بين النجوم فمن هناك أحدرك يقول الرب" ثم يضيف "فإنه قريب يوم الرب على كل الأمم. كما فعلت يفعل بك عملك يرتد على رأسك. لأنه كما شربتم على جبل قدسي يشرب جميع الأمم دائماً يشربون ويجرعون ويكونون كأنهم لم يكونوا" (الأعداد ١٥ - ١٦).

إنها حقيقة إلهية سجلتها ليس فقط كلمات الأنبياء، بل أيضاً سجل التاريخ. فأين الإمبراطوريات العظمى التي كانت وسادت؟! وأين الطغاة والجبابة أمثال نيرون وشارون .. إلى آخره. سيدين الله كل ظالم مهما طال الزمن، وسيحرر ويخلص المساكين، وينجي شعبه في كل مكان، ويصحح الأوضاع ويقيم العدل ويجري الحق في العالم ووسط أمم الأرض "ويكون الملك للرب" (الأعداد ١٧ - ٢١).

إنها لغة الإيمان الواثق تلك التي عبر عنها إشعيا النبي في حوارهِ المبدع والمتع، قبل أدوم بزمان طويل، وبدلالة فدائية واضحة فيقول "من ذا الآتي

من أدوم بثياب حمر من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته. أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص. ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة. قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد فدستهم بغضبي ووطنهم بغیظي فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي. لأن يوم النعمة في قلبي وسنة مفديي قد أتت. فنظرت ولم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد فخلصت لي ذراعي وغيظي عضدي. فدست شعوبا بغضبي وأسكرتهم بغیظي وأجريت على الأرض عصيرهم" (اشعيا ٦٣ : ٦-١).

